القريبة طريقنا للتنوير عنـــد

رفاعـــة الطهطـــاوى

مقدمة :

تعد التربية ـ منذ نشأة الإنسان ـ هى الهدف والوسيلة لحياة كريمة ومستقبل أفضل ، وإذا كانت هناك فترات زمنية تخبو فيها شموع المعرفة ، فما تلبث أن تجد من يقدح الزناد ليضيء هذه الشموع وتملأ الدنيا شعاعاً وتنفذ الأمم من غفلتها وتخلفها وتبعث فيها الأمل لكى تلحق بالتطور الذى فاتها وقت انطفاء شموع المعرفة .

والمتتبع للتاريخ المصرى يجد أن مصر فقدت استقلالها بعد الفتح العثمانى ، وظلت القوى الثلاث الحاكمة (الباشا ، والديوان ، والمماليك) هى قوام النظام الذى وضعه سليم الأول لحكم مصر ، وللاحتفاظ بها ولاية عثمانية أطول مدة ممكنة . وظلت هذه القوى تتنافر وتتنازع ، وكل واحدة منها تبذل جهدها لتحقيق غرضين اثنين هما :

ـ أن تقوى هى ، وأن تضعف القوتين الأخريين .

ـ أن تبتز من الشعب ماتستطيع ابتزازه من مال لتغنى .

وأما الشعب ، و البلد ، و نواحى الإصلاح للرقى بالشعب وبالبلد فقد أهملت جميعًا ، حتى سطر التاريخ لهذا العهد صفحة سوداء ، وعدت مصر توصف ـ فى هذا العهد العثمانى ـ بالضعف فى كل شىء ، وخيم على البلاد نوع من الخمود والركود ظل ثلاثة قرون كاملة (١) .

ولقد ارتبطت الحركة العلمية بالتغيرات الحادثة ، حيث خمدت وضعفت فى هذه الفترة فلم يظهر فيها مفكرون جدد ولا مدارس تفكيرية جديدة ، وانتهى جهد العلماء فى مصر إلى نظم قصيدة لمدح سلطان إذا انتصر ، أو تأريخ حياته إذا مات ، أو شرح أو تفسير أو تهميش أو تعليق أو اختصار لأمهات الكتب القديمة فى الفقه والتفسير والحديث وغيرها من العلوم الدينية واللغوية .

ويرجع خمود الحركة العلمية وجمود الفكر فى البلاد إلى أن القوة العثمانية حالت دون اتصال أمم الدولة بالحضارات الأجنبية عمومًا وبالحضارة الأوربية خصوصًا ، مما دفع المصريين إلى الانكماش داخل بلادهم وأصيبوا باليأس العلمى الذى انتشر بين كل الطبقات ، حتى أن الأزهر ـ كمشعل للعلم ـ لم يكن فى حالة طيبة مبشرة ، بل امتدت إليه موجة الركود والجمود ، وهكذا تم لمصر ـ وهى زعيمة الشرق ـ كل عوامل الضعف ، فقد ضعفت حربياً بتملك العثمانيين لها ، وضعفت اقتصاديًا بتحويل التجارة عنها ،

وضعفت علميًا وروحيًا بسيطرة أفكار التصوف وخرافات المشعوذين على عقول أهلها(٢).

وإذا كان ذلك هو حال عاصمة البلاد فلا غير أن يكون الحال أسوأ منه فى إقليم الصعيد، لبعده عن محور الثقافة ومشاعل نورها، حيث لم تكن تتمتع هذه البلاد بغير مجموعة من الكتاتيب الأهلية التى تقوم بتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم القراءة والحساب فى أبسط صورها ولايلتحق بها إلا القليل الذى استطاع أهله الاستغناء عن خدماته فى الأعمال الزراعية وغيرها.

ورغم هذا الظلام الذى خيم على صعيد مصر نتيجة لما تعانيه كل البلاد من ظلم الحاكم وقسوته، إلا أن القدر يمنح مصر رجلا وجدت فيه صانعا لنهضتها حينما أفاقت فى فجر القرن التاسع عشر، وهو رفاعة الطهطاوى الذى ولد فى العام الاول من ذلك القرن فى احدى قرى صعيد مصر، ثم محبته الاقدار الى القاهرة وهو ابن السادسة عشرة، ليدرس فى الازهر الشريف ويتتلمذ على يد رجل رحاله وأديب مرموق هو الشيخ حسن العطار، والذى ساعده فى السفر الى فرنسا ليعود بعدها معلما بالازهر حاملا للواء التنوير فى مصر(٣).

وقد استطاع رفاعة الطهطاوى أن يبعث الأمل فى شعب مصر حين تمكن من إنارة شموع المعرفة من خلال استخدامه للتربية سلاحًا فى معركة التنوير ضد ظلام الجهل والتخلف واللحاق بركب الحياة الإنسانية والذى أخذ فى التصارع لكى يحقق للإنسان مافاته فى عصر تحكمه الأقلية، التى سيطرت على الجميع لكى تتمتع بكل شىء من خلال جهل الإنسان بما حوله وبما هو قادم عليه.

وقد حدد رفاعة الطهطاوى هدفه وأدرك وسيلته التى تحقق له هذا الهدف، ولم يتردد فى الاعتماد عليها ليصيب الهدف ويحقق الأمل، واضعًا نصب عينيه أن النهضة الحقيقية للإنسان فى تعليمه وإنارة عقله، واستطاع - بذلك - أن يقدم أعظم وأجل مايقدم لأبناء أمته، وأصبح من زعماء النهضة الثقافية فى مصر وروادها.

ومما يعلق فكر الطهطاوى بعدًا جديدًا من الأهمية أنه لم يقف عند المستوى الشرقى من الثقافة، بل دخل فى مجال البحث عن المعرفة عند الغرب ليعوض لأبناء الشرق فترة كمونهم عن الحياة، ولذلك كان شديد الحرص على تعلم لغة الغرب ومعرفة أسرارهم، ولقد أدرك أن اللغة لن تكتسب إلا بالتعليم، وأن التعليم وحده هو الهدف والوسيلة لبعث حركة الحياة من جديد فى مصر.

وقد صاحب إيمانه بالتربية كسلاح فى معركة التنوير إيمانه العميق بحق المصريين فى التعليم وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بين الجميع لكى تتم ثورة النور والتنوير، وقد استمر إيمانه الشديد بذلك فى كل مراحل حياته التى عاشها حرًا طليقًا ، أو التى نفى فيها بعيدًا عن أهله ووطنه ليذهب إلى السودان .

مشكلة البحث وتحديدها :

فى ضوء ماسبق يتضح أن مصر قد تجاذبتها أطماع الدول الأوربية، وتصارعت مع " الباب العالى" وحكامه وولاته ،وأنهم كثيرًا ماهبوا مطالبين بحقوقهم وتوسطوا عند "الباب العالى" لتولية من وقع عليه اختيارهم وهو محمد على ،وهذا الأخير بدأبداية طيبة للتطوير معتمدًا على التعليم إيمانًا منه بدور التربية فى بناء الأمم وحضارتها ومجدها، ووفر جوًا ومناخًا للاستفادة من أصحاب الفكر، إلا أنه لم يستمر فى الطريق حتى نهايته وترك الأمور لأبناء أفسدوا ما أصلحه، مما زاد من شدة المطالبة بالحقوق.

وفى هذا الجو من المشاعر الملتهبة والرغبة الحارة فى التخلص من ظلام الجهل، قام رجالات الفكر على رأسهم رفاعة الطهطاوى يبعثون روح اليقظة والنهوض ويضيئون الشموع فى ظلمات الجهل الحالك.. وفى هذا الإطار يأتى البحث الحالى ليعرض ماينطوى عليه فكر رفاعة الطهطاوى ودوره فى وضع أسس الثقافة المصرية الحديثة كأساس للتنوير.

أى أن مشكلة البحث تتحدد فى محاولة الاقتراب من فهم مجال التنوير بدارسة محاوره فى فكر رفاعة الطهطاوى ثم السعى لربط هذه المحاور بكيفية استخدام التربية كوسيلة أو سلاح للتنوير فى عهد اتسم فى فترات كبيرة منه بالظلمة الحالكة.

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى :

- إلقاء الضوء على أثر ظروف النشأة الأولى لرفاعة الطهطاوى فى تكوين فكره التربوى.
- التعرف على إنجازاته التربوية الواضحة فى مجال التربية والتعليم فى مصر.
- توضيح العلاقة بين التربية والتنوير كما وردت فى حركة حياته العلمية والاجتماعية.

أسئلة البحث :

ولتحقيق الأهداف السابقة يحاول البحث الحالى الإجابة عن التساؤل الرئيسى التالى :

* كيف استخدم رفاعة الطهطاوى التربية سلاحاً فى معركة التنوير؟

وعند الإجابة عن هذا التساؤل ينبغى التعرض للنقاط التالية :

- نشأة الطهطاوى وعلاقته بفكرة التنوير.
- علاقة تعليم الطهطاوى خارج مصر بحركة التنوير.
- مجاور التنوير فى فكر رفاعة الطهطاوى.
- استخدام التربية كسلاح للثقافة والتنوير.

منهج البحث :

يستخدم البحث المنهج الوصفى المعتمد على تحليل ماكتب عن رفاعة الطهطاوى وذلك بتحليل الوثائق التى خلفها الطهطاوى ومحتوى ماكتب عنه وبخاصة مايرتبط منها بمجال التربية والتنوير ، ولما كان هذا التحليل يهتم بشرح الوضع الخاص بالتنوير وتفسيره فى الوقت الذى عاش فيه رفاعة وتطور فكره عبر الفترات التى عاشها أو ما بعدها ، ولما كان البحث يطلب تفسير أحداث اجتماعية حدثت فى عهده وتطبيقاتها التربوية ، لذا فقد يتطلب الأمر الاستعانة بالمنهج التاريخى لتفسير العلاقات بين الأحداث والاستفادة منها فى فهم الحاضر على ضوء أحداث الماضى .

فى ضوء هذا المنهج تم معالجة الموضوع على النحو التالى :

أولاً : الخصائص التربوية للعصر الذى عاشه رفاعه الطهطاوى :

(أ) سمات العصر :

عاش رفاعة الطهطاوى - بداية عصره فى عهد انحط العلم فيه بين المسلمين بقدر إنحطاطهم السياسى، فصار علمهم قديماً بالياً لاجدوى فيه ولايناسب العصر الحديث بعد أن مضى على ذلك العلم أكثر من قرنين وهو جامد غير متطور، ومن سمات هذا الجمود القول المشهور الذى كان يؤمن به أهل الأزهر وهو" لاعلم إلا لأزهرى " ، وظل الكثير منهم يؤمن بهذا القول ويرى أن العلم هو علم الأزهر ، وأن أوربا تمتاز عنهم بالصناعة فقط (٤).

ومع ذلك فإن علماء الأزهر كانوا قد وصلوا فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر إلى حالة بلغ اليأس فيها من إصلاحهم غايته، لأنهم كانوا مع هذه النظرة العلمية فى حالة عجز تام عن القيام بأى عمل نافع ولو كان فى مصلحة دينهم، فقد كانت الأحكام الشرعية على حالة من الجمود وقد يكون العمل بغيرها أنسب منها لهذا العصر وقد قفل باب الاجتهاد فى الفقه، حتى أن العلماء لم يستطيعوا أن يصدروا أحكاماً جديدة تنهض بكثير من التشريعات (٥).

ومع إشراقة القرن التاسع عشر ضاق الغرب بعزلة بلدان الشرق الأدنى عامة ومصر بوجه خاص وآثر أن يقوم بفتح الأبواب والنوافذ التى تسمح لأضواء حضارية بالدخول والانتشار بالقوة أو السلاح، كما دفعته عوامل الاستعمار والاستغلال إلى احتلال البلاد فى صورة الحملة الفرنسية والتى تبعتها الحملة الإنجليزية لكى تفوز بالسيطرة على مصر وشعبها وشئونها (٦).

وأدرك الحكام الذين تولوا عرش مصر أنه لابد من رسم سياسة إصلاحية جديدة لانتشال الكنانة من هذا الخراب والفساد الذى تردت فيه طوال العصر العثمانى، ورأوا أن السبيل القويم للإصلاح هو الاتجاه نحو الغرب والاقتباس من نظمه والنقل من علومه.

وفى هذه الأونة التى بدأت فيها الحضارة الأوربية تتطلع إلى غزو الحضارات القديمة الجامدة فى الشرق، ولد رفاعة الطهطاوى.

(ب) مولد رفاعة الطهطاوى وثقافته التى نشأ فيها:

ولد رفاعة فى طهطا سنة ١٢١٦هـ(١٨٠١م) فى أسرة ميسورة الحال، حيث كان والده يملك بعض الثروة التى تسمح له بالعيش الكريم، إلا أن "محمد على" انتزع أموال " بدوى رافع" والد رفاعة الطهطاوى كغيره من المصريين بحجة أنها من أملاك المسلمين التى يجب أن يديرها الوالى لينفق ريعها على المحتاجين(٧)، مما اضطر أسرته إلى الرحيل عن مدينته والالتجاء إلى أقارب له يقال لهم بيت "أبى قطنه" بجرجا، وكانوا من ذوى اليسار والمجد ولهم شهرة بصعيد مصر وهناك حفظ الكثير من القرآن الكريم وظل كذلك حتى توفى والده فعاد إلى مسقط رأسه حيث تولى تربيته أخواله فأتم حفظ القرآن الكريم، كما أخذ يتلقى مبادىء العلوم فقرأ بعض الكتب فى الفقه والنحو فأهله ذلك للقدوم إلى القاهرة ليتلقى العلوم بالأزهر(٨).

وقد تهيأت لرفاعة الطهطاوي منذ طفولته ثقافة أزهرية حتى قبل أن يدخل الأزهر، إذ قرأ بعض الشئون الأزهرية عن أخواله ومنهم بعض علماء الأزهر كالشيخ عبد الصمد الأنصاري والشيخ أبو الحسن الأنصاري والشيخ فراج الأنصاري (٩)، ثم جاء رفاعة إلى القاهرة، ولم يبق بها طويلاً حتى مضى يطلب العلم في الأزهر ولم يسر في دروسه على منهج منتظم، بل حضر دروس متنوعة، وكان ذا عزيمة قوية وصبر على المطالعة والدروس وحب للعلم والتحصيل ودراسة العديد من الكتب التي أخذها عن أعلام شيوخ عصره (١٠).

وكان من أعظم أساتذته في توجيه حياته حسن العطار، فقد اتصل به رفاعة يوم أن دخل الأزهر (١١)، وقد كان من حظ رفاعة أن تتلمذ على يد هذا الشيخ وهو من العلماء المستنيرين الذين اتصلوا بعلماء الحملة الفرنسية وأعجب بتقدم الشعب الفرنسي وحضارته وقد قرأ الشيخ العطار الكثير من كتب التاريخ والجغرافيا والطب والرياضة والفلك والأدب وأفاد تلاميذه من هذه العلوم، وقد كان رفاعة من تلاميذه الذين قربهم إليه (١٢)، لما لمسه فيه من نبوغ وكان الطهطاوي يتردد على منزله ليتنهل من علمه ويشترك معه في الاطلاع على الكتب العربية التي تتناولها أيدي علماء الأزهر (١٣).

قضى رفاعة الطهطاوي ثماني سنوات وكان فيها مرجع أخوته يحل لهم ما غمض عليهم وكان أساتذته يثقون بفهمه فسطع نجمه في الأزهر، وعلا قدره.. ولم يؤثر فقره على دراسته إذ كانت والدته تساعده ببيع ما تبقى لها من الحلى والعقار، وكان هو يستعين على الحياة بإعطاء درس كل يوم لحسين بك تجل المرحوم لاظوغلي وإلقاء بعض الدروس في المدرسة التي أنشأها بمنزل محمد لاظوغلي (١٤).

وقد كان رفاعة منذ عهده الأول مدرساً ممتازاً فأقبل عليه الطلاب وفادوا منه وكانت حلقات دروسه في العامين التاليين لتخرجه حافلة دائماً بالمستمعين من التلاميذ والمشايخ (١٥)، وفي أثناء العطلة الصيفية يذهب رفاعة الى بلده وكان يجلس في مسجد جده "أبي القاسم"، ويلقي على الناس ما تعلمه من علوم الدين.. وكان رفاعة مع حداثة عهده بالتعليم ـ فصيح اللسان، حلو الكلام وبهذا استطاع أن يلقي دروسه على السامعين بلغة فهموها بسهولة كبيرة، وما كاد ينتهي من درسه الأول حتى صاح خاله معجباً به ومفتخراً بمقدرته ـ الله أنت يابن الأخت.. إنك فقت كبار العلماء في سهولة الشرح وتقريب العلوم البعيدة وهكذا كان يقضي الشاب رفاعة الطهطاوي أيام العطلة الدراسية يجلس في مسجد جده عمر كل يوم ليلقي درساً في العلوم المختلفة التي تعلمها في الأزهر.

وكان هذا فى سنته الأولى بالأزهر.. وكان تارة يجعل موضوع درسه حديثاً من أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - يلقيه على السامعين بصوت عذب ونغمات حلوة ،ثم يشرحه شرحاً واضحاً وتارة أخرى يختار آية من القرآن الكريم أو عدة آيات ويقرؤها بترتيل وتجويد دون أن يتغنى بها ثم يأخذ فى شرحها وبيان فضل الله فيها على الناس ،وكان أحياناً يجد بعض السامعين يحبون الأدب والشعر فيلقى عليهم مما حفظه من الشعر والنثر والخطب قطعاً جميلة ساحرة (١٦).

وقد عاصر الطهطاوى أهم أحداث مصر الجسام وأسهم فيها وتعامل معها وأثر فيها وتأثر بها وقد أضفى عليه مؤرخوه لقب زعيم النهضة الثقافية فى مصر فى القرن التاسع عشر.

ويبدو أن ضيق العيش دفعه إلى التحرك عن التعليم فى الأزهر فعين واعظاً وإماماً لإحدى فرق الجيش المصرى النظامى الذى أسسه محمد على (١٧)، وانتقاله إلى الجيش أحدث تطوراً فى حياته وفى سيرته وذهنيته لأنه بدأ يتصل بالحياة العسكرية.. وظل الشيخ رفاعة فى منصب الإمامه من أول سنة ١٢٤٠هـ حتى شعبان من السنة الثانية حين فتح له طريق المجد وهيئت له أسباب النبوغ ومهدت أمامه السبل لخدمة بلاده من أجل الخدمات ،وبهذا أتيحت له الفرصة لاستخدام فكره الذى تبلور خلال نشأته الأولى.

(ج) دور الثقافة الأجنبية فى تطوير اتجاهات رفاعة الطهطاوى التربوية :

لما أراد محمد على باشا أن يرسل بعثة كبرى إلى فرنسا لتدرس العلوم الحديثة ، اختار لهم من علماء الأزهر من يذكرهم بالدين ويعظهم ويرشدهم ،ووقع الاختيار على رفاعة الطهطاوى كإماماً للبعثة ، أى أنه لم يكن مطالباً بدراسة علوم الفرنسية وتنظيم بل كان يكفيه أن يقوم بالإمامة لأعضاء البعثة ويعظهم ويرشدهم ،ولكنه قد رأى أمامه الباب مفتوحاً على مصرعيه ، حيث انخرط فى دراسة ماتدرسه أعضاء البعثة ،ولم يترك الفرصة تفلت من يده ولم يلبث أن جدّ كما جدوا فأكسبه اجتهاده مكانة فى البعثة وأثنى عليه المشرف لذكائه ومثابرته فتعهده بالإرشاد وسداد خطاه حتى نهل من الثقافة الأجنبية بأوفى منصب (١٨).

ولقد درس رفاعة الطهطاوى الترجمة وأمضى فيها خمس سنوات كاملة ترجم خلالها الكثير من الكتب والقطع والمقالات وبعد اجتيازه لامتحان الترجمة عاد إلى أرض وطنه

متأثراً بفكر الغرب وتقاليده واتجاهاته على الرغم من أن اختلاطه بأقوام مختلفين وعادات غير مألوفة لديه لم تؤثر أدنى تأثير على عقائده ولم تغير من أخلاقه الإسلامية وعاداته الشرقية (١٩).

ويؤكد ذلك "على مبارك" بقوله: إن إقامة رفاعة الطهطاوى بباريس لم تؤثر أدنى تأثيراً فى عقائده أو فى أخلاقه وعاداته (٢٠).

ولمّا كان الشيخ العطار أوصى تلميذه رفاعة الطهطاوى بتدوين مشاهداته فى رحلته نظراً لاهتمام العطار بسماع عجائب الأخبار وغرائب الآثار، لذا فقد اهتم رفاعة بدراسة المجتمع الفرنسى وعاداته، ومقارنة ذلك بما يحدث فى المجتمع المصرى، واستفاد من ذلك أن أصبح همزة الوصل المنشودة بين ثقافة الغرب وعقلية الشرق" (٢١).

وقد واصل رفاعة الطهطاوى دراسة اللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا، وألم بالحساب والهندسة، وشحذ فكره بمطالبات قيمة فى المنطق وتاريخ الفلسفة والأدب الفرنسى، ولاسيما أدب القرن الثامن عشر الذى يؤمن بارتقاء البشرية وهدى المعارف وتحكيم العقل فى تنظيم المجتمع، كما شغف بمقالات الصحف والمجلات، وتخصص فى الترجمة، وأفاد من أحاديث المستشرقين ومن اتصاله الدائم بأساتذته الفرنسيين. وأدت مطالعاته ومشاهداته إلى تطور عقلى سليم أفضى به من السذاجة إلى نضج الرأى ثم إلى النقد الساخر (٢٢).

وبعد أن أمضى رفاعة الطهطاوى فى باريس خمس سنوات عامرة بالاطلاع والتفكير والتحصيل بين الأساتذة والمستشرقين، وأهل العاصمة الفرنسية وأئمة الحضارة الحديثة، عاد إلى وطنه عام ١٨٣١م زاخر النفس بمعانى حياة جديدة، متحفزاً لعمل خطير هو إصلاح المجتمع المصرى بتعليم الشعب وتنوير العقول.

(د) أثر تجارب رفاعة الطهطاوى ومشاهداته وانطباعاته:

لقد تأثر رفاعة الطهطاوى كثيراً بما درسه وشاهده فى فرنسا، وأراد أن يعود كل ذلك بالنفع على بلده، فقام بعد عودته بالتأكيد على إنشاء المدارس وتعليم أبناء مصر، كما راح يستعرض كتب الثقافة الغربية ويترجم ويصنع من تلاميذه مترجمين يتولون معه وتحت إشرافه، من بعده نقل ذلك الكنز المفتوح، ومضى يكتب ويخطب وينشر المجلات والصحف، ويبسط العلوم ويعالج التربية والاقتصاد والسياسة، ويهدم الآراء الفاسدة ويبث أفكار التقدم، ويعلم أمته بروعة ماضيها وخصب حاضرها ورجاء مستقبلها (٢٣).

وقد استمر رفاعة الطهطاوى فى ذلك لايكل ولايمل على الرغم من قيود محمد على باشتناء حتى أدى رسالته التى آمن بها.

ولقد قام رفاعة الطهطاوى بمهمة الترجمة وتدريس اللغة الفرنسية بمدرسة الطب بأبى زعبل ،ثم انتقل سنة ١٨٣٣م إلى مدرسة المدفعية بطرة ،واستمر يترجم لطلاب هذه المدرسة فى العلوم الهندسية والعسكرية والجغرافية ،وعندما ظهر مرض الطاعون فى مصر عام١٨٣٤م سافر رفاعة الطهطاوى إلى طهطا ،وفى فترة ستة أشهر أكمل ترجمة الجزء الأول من" جغرافية ملطبورن" الذى كان قد بدأ ترجمته فى باريس (٢٤).

واستطاع رفاعة الطهطاوى أن يقنع الوالى" محمد على" بأن عمله وحده فى الترجمة لايكفى ولايسد حاجة البلاد إلى معرفة علوم فرنسا وعلوم الغرب واقترح عليه أن ينشىء مدرسة ،يتعلم الطلبة فيها الترجمة بعد مايدرسون اللغة العربية واللغة الفرنسية ويتعمقون فى دراستها لأن الترجمة السليمة تحتاج دائماً أن يكون المترجم قوياً فى اللغة التى يترجم منها واللغة التى يترجم إليها.

وعندما وافق الوالى على إنشاء هذه المدرسة وأصدر أمره بهذا كلف رفاعة الطهطاوى بأن يختار بنفسه تلاميذها من أبناء البلاد الذين يتعلمون فى الكتاتيب ،وقد اختار الشيخ رفاعة خمسين تلميذاً وعاد بهم إلى القاهرة وهو فى أسعد أيام حياته ومن ذلك اليوم أنشئت مدرسة الألسن سنة١٨٣٧م وصار رفاعة ناظراً لها ومدرساً فيها وكان تلاميذها جميعاً يتعلمون فيها بالمجان ويقيمون فيها ويصرف لهم ثمن الملابس وكان مقر مدرسة الترجمة السراى المعروفة ببيت" الدفتروا" بحى الأزبكية ،وقد تولى رفاعة نظارة المدرسة إلى جانب تدريسه بها، **وكانت أهم واجباته :**

(١) أن يشرف على المدرسة من الناحية الفنية والادارية.

(٢) أن يدرس للتلاميذ الأدب والشرائع الإسلامية والعربية.

(٣) أن يختار الكتب التى يرى ضرورة ترجمتها ويوزعها على المترجمين من تلاميذ المدرسة وخريجيها الملتحقين بقلم الترجمة ويشرف على توجيههم فى قيامهم بعملهم ثم يراجع الكتب وينقحها بعد ترجمتها بالإضافة إلى ذلك كان رفاعة يرأس كل عام لجنة الامتحان التى تعقد لتلاميذ مكاتب المبتديان والأقاليم ويسافر إليها ويشترك فى امتحان التلاميذ ويلحق المتفوقين بالمدرسة التجهيزية التى ألحقت

بمدرسة الألسن وإلى جانب اشتراك رفاعة فى ترجمة العديد من الكتب ،قام بمراجعة كتب كثيرة لمترجميها من أعضاء البعثات الذين يعملون بالمدارس الخصوصية (٢٥).

وفى سنة ١٨٤٠ عهد إلى رفاعة الطهطاوى تنظيم "الوقائع المصرية" والإشراف على تحريرها فقام بالإشراف على تبويب الصحيفة وأعمال الترجمة بها وعنى باللغة العربية التى أصبحت تتصدر الجريدة فى الناحية اليمنى فى حين كانت اللغة التركية تحتل الناحية اليسرى.. وكان لهذا العمل وقع تاريخى فى التنوير لما أتاحه من فرص لقارىء العربية من معرفة الوقائع والأحداث (٢٦).

وبعد أن تولى عباس الأول الحكم قام بتصفية تلاميذ مدرسة الألسن وأمر بنقلها فى أكتوبر سنة ١٨٤٨م إلى مكان مدرسة المبتديان (الناصرية) ثم ألغيت المدرسة فى نوفمبر سنة ١٨٤٩ وضم تلاميذها إلى المدرسة التجهيزية كخطوة لغلق النوافذ المصرية على الخارج إلى السودان،كما أرسل الطهطاوى إلى السودان بحجة تولية نظارة المدرسة الابتدائية التى أمر عباس بإنشائها فى الخرطوم ،ويقال بأن لكتاب رفاعة الطهطاوى " تخليص الإبريز فى تلخيص باريز " علاقة بنفيه ،نظراً لما تضمنه هذا الكتاب ـ طبقاً لرأى عبد الرحمن الرافعى ـ من " آراء ومبادىء لايرغب فيها الحاكم المستبد"وقد قضى الطهطاوى فى السودان أربعة أعوام كانت قاسية على نفسه لاغترابه عن أسرته وأهله ، وقد عاد الطهطاوى هو ورفاقه من السودان بعد تولى سعيد حكم مصر فى يوليو سنة ١٨٥٤م (٢٧) ويبدو من الأشعار التى نظمها الطهطاوى أنه كان متألماً لنفيه ويصور الأمر على أنه وشاية فيقول :

وماخلت العزيز يريد ذلى	ولايعفى لاخصام لداد
لديه سعوا بالسنة حداد	فكيف صفن لألسنة حداد
رحلت بصفقة المغبون عنها	وفضلى فى سواها فى المزاد
وما السودان قط مقام مثلى	ولاسلمى فيها ولا سعادى

وعلى الرغم من أن سعيد لم يكلف الطهطاوى ـ بعد عودته من السودان ـ بأى عمل إلا أن" أدهم باشا" المفتش العام للمدارس وضيق الطهطاوى دعاه إلى دراسة مجال التعليم الابتدائى ،فكتبا معاً تقريراً طويلاً مفصلاً بوجوب نشر هذا التعليم فى المدن والقرى لأنه الأساس الذى يقوم عليه كل تعليم ورفعا هذا التقرير إلى الوالى،ولكن الوالى لم ينظر إليه أو يفكر فى تنفيذ ماجاء فيه من الأصلاح للبلاد(٢٨).

وبعد مدة قصيرة كان ناظر المدرسة الحربية" سليمان الفرنساوى" قد أحس بأنه في حاجة إلى من يساعده في إدارة المدرسة فطلب من الوالى أن يعين رفاعة وكيلاً له ، فوافق الوالى على تعيين رفاعة وكيلاً للمدرسة الحربية ، وذهب رفاعة إلى المدرسة وهو ينوى أن يحدث تغييراً كبيراً في مناهجها ونظام دراستها واستطاع أن يقنع "سليمان الفرنساوى " بأن الضباط في الجيوش يجب أن يتعلموا كثيراً من اللغات ويجب أن يتعلموا العلوم الهندسية ودرس الأدب التي تملأ نفوسهم حماسة وشجاعة عند القتال ونجحت فكرة رفاعة واقتنع بها الناظر وترتب على ذلك إحياء فكرة مدرسة الألسن القديمة في صورة جديدة وترجم هو ومساعدوه في هذه الفترة عدداً من الكتب في العلوم النافعة.

ولم يطل الوقت فطلب " سليمان الفرنساوى " أن يترك الخدمة لكبر سنه فأصبح رفاعة ناظراً لهذه المدرسة وبعد فترة نظراً لارتباك المالى الذى وقع فيه سعيد ،مما جعله يلغى هذه المدرسة ويطفئ النور الذى كان يشع منها لأنحاء البلاد ،وبهذا أصبح الطهطاوى بدون عمل حتى جاء حكم إسماعيل الذى استعان برفاعة وجعله رئيساً لقلم الترجمة وكلفه بالإشراف على الكتاتيب ،بهذا فقد نجح رفاعة في نشر التعليم الابتدائى بين طبقات الشعب كما كان يتمنى.

ولم يكتف رفاعة الطهطاوى بالحث على نشر التعليم الابتدائى بل إنه نادى – في مشروعاته لتنوير العباد – بتعليم البنت وإنشاء مدارس خاصة بها لاعتقاده بأن تربية الوالدان تأتى ثمارها من خلال تربية الأمهات ، ولم يترك هذا في صورة توصية بل أنه سعى جاهداً لتحقيق ذلك من خلال ماكتبه عن خير الطرق لتعليم البنين والبنات ،ومن ثم فقد أثمرت دعوته عن استجابة الحكومة بإنشاء المدرسة السيتية.. أضف إلى ذلك اهتمامه بإعداد المعلم عن طريق مجموعة من المحاضرات في مجال الرياضيات والعلوم الطبيعية والتاريخ وطرق التعليم ،والتى كان يتلقاها أبناء الأزهر في قاعة دار العلوم التى تُعد نواة لمعاهد إعداد المعلم في مصر (٢٩).

ولقد شكلت هذه المؤثرات فكر الطهطاوى العام والتربوى والذى يبدو بوضوح في موقفه من التربية وأهمية الدور الذى تقوم به مؤسساتها وتنظيماتها الاجتماعية ، وأيضاً في الجوانب النفسية والخلقية للمتعلمين ،هذا بالإضافة إلى رأيه في طبيعة المعلم بالتلميذ وطرائق التدريس والتعليم بالأزهر وتعليم البنت وغيرها من الجوانب التربوية.

ثانياً: الاهتمامات التربوية عند رفاعة الطهطاوى :

لقد تعددت اهتمامات رفاعة الطهطاوى التربوية ،كما كانت له آراء متنوعة وكثيرة في التربية ورد ذكرها فى كتاباته ومؤلفاته وهى:" تخليص الإبريز فى تلخيص باريز"، و" المرشد الأمين للبنات والبنين" و " مناهج الألباب المصرية فى مناهج الآداب العمرية" ،والتى أسفر تحليل الباحثين لها عن الآتى :

(١) معنى التربية وأهميتها عند رفاعة الطهطاوى :

اهتم الطهطاوى بقضية التربية والتعليم - باعتبارها قضية قومية - اهتماماً عملياً ونظرياً ،حيث تأثر فى الجانب النظرى بدراسته فى الأزهر على الطريقة التقليدية المتعارف عليها ،وتأثر فى الجانب العملى بدراسته فى فرنسا أثناء البعثة للنظريات والطرائق والمناهج الجديدة التى غلب عليها الجانب التجريبى .

ولقد كان من نتاج التزاوج بين الفكر النظرى الشرقى والتجريبى الغربى نظرة جديدة للتربية ومفهومها ،حيث نظر إليها على أنها فن تنمية الأعضاء الجسمية والعقلية للكائن البشرى وطريقة لتهذيبه على أصول علمية يستفيد بها الصبى ويتخذها عادة ، ومن ثم فإن التربية عند الطهطاوى تتسم بالشمولية والتكامل ،كما جعل موضوعها الطفل من ساعة أن يولد إلى أن يتم نضجه ، كفاء طفلها تشمل الجوانب الجسمية والعقلية للطفل وزاد على ذلك فى أن جعل التربية عملية تؤدى إلى تغيير فى قدرات الفرد إلى الأحسن والأصلح(٣٠).

وتعد التربية - فى رأى رفاعة - ضرورة للإنسان ، لايستطيع أن يستغنى عنها ، فالإنسان تميز عن سائر المخلوقات بالعقل وهو وسيلة تؤهل الإنسان لحماية نفسه على عكس الحيوانات التى تمكنها قوتها الجسدية من أن تحمى نفسها، لذا فهو يمتلك القدرة على التعلم واكتساب المهارات ،وبذلك فقد أكد الطهطاوى أهمية العقل بالنسبة للإنسان ،وأن من واجبه أن يفيد من قدرته العقلية للتعلم واكتساب الخبرات حتى يتغلب على صعوبة الحياة ويسود الكون (٣١).

ويرى الطهطاوى - أيضاً - أن الإنسان تميز عن سائر الكائنات بالقدرة اللغوية الفكرية التى مكنته من أن يكون تنظيماً اجتماعياً يدعم الحضارة الإنسانية ويعمل على

استمرارية المجتمعات البشرية ويكسب الأفراد المعارف والخبرات وبهذا تعد التربية طريق للتقدم ،حيث إن تربية الأفراد على نحو اجتماعى سليم تؤدى إلى رقى شأن الأمة ،يستوى فى ذلك الذكور والإناث ، فالأمة التى ترتقى برجالها ونسائها تمضى فى طريق التقدم على أساس سليم (٣٢) .

(٢) التلميذ واستعداداته وميوله :

يؤكد رفاعة الطهطاوى على الجوانب النفسية للتلميذ وطرق مراعاتها ،ويوصى المربين وأولياء الأمور بتأمل أحوال الصبيان وكشف استعداداتهم تمهيداً لتوجيههم التوجيه السليم .

فالتربية الصحيحة من منظور الطهطاوى هى التى تناسب استعدادات الطفل ويراعى فيها ميوله وقدراته ،وفى الحالة التى تتشابه فيها هذه الميول والاستعدادات فإن استغلال هذه الاستعدادات يقوى بالتنافس الذى يعد صفة إنسانية تبعث على الجهد والاجتهاد، ويؤكد الطهطاوى ذلك بقوله ربما ظهر ببادىء الرأى أن - التنافس رقيق الطمع وشقيق الحسد وأن التمسك به غير سالك فى السبيل الأمثل ، مع أنه ليس فيه شىء من هاتين المثابتين ، بل بينه وبينهما بون بعيد فى الأثر والعين إذ ليس الغرض من التنافس حصر الفعل فى صاحبه والاختصاص بمكاسبه ومواهبه بل مجرد التقدم فى المعارف والدخول مع الأقران فى ميدان السباق ليبادر كل منهم بالسعى واللحاق" (٣٣) .

(٣) فى أخلاق المتعلمين :

لايقتصر اهتمام الطهطاوى بتربية الأفراد على تنمية الاستعدادات وتنشئة الفرد تنشئة عقلية ،بل اهتم كذلك بالجانب الخلقى اعتقاداً منه بأن التربية السليمة هى التى تُعد الفرد للعيش فى مجتمع له معاييره الأخلاقية ،ومن ثم فقد نبذ فى كتاباته الأخلاق غير الحميدة ودعا المربين إلى مساعدة الأطفال على التخلص منها ،ومن ثم فهو يرى بأن يعلم الطفل ذكراً أو أنثى من بواكير الطفولة العقائد الدينية الدالة على وجود الله ووحدانيته ويرى أن تسير التربية الدينية جنباً إلى جنب مع تربية الطفل المعايشة" (٣٤) .

وينتهج الطهطاوى نهجًا تربويًا خاصًا فى التربية الخلقية ،حيث نادى بعدم توبيخ الطفل إذا خالف أصول الأدب فى بعض الأوقات ،بل يكاشفه بأنه أقدم على هذا السلوك فى أول مرة ، وفى المرة الثانية يوبخ الطفل مرًا لأنه إذا تعود التوبيخ والمكاشفة أدى ذلك إلى أن يكون وقحًا ويهون عليه سماع الملامة فى ارتكاب الفضائح.

(٤) فى صلة المعلم بالتلميذ :

أشار الطهطاوى إلى العلاقة التى يجب أن تجمع بين المعلم والتلميذ وأكد على ضرورة بنائها على الحب والإخلاص ،وأشار فى هذا الصدد إلى ضرورة تبنى المتعلم طريقة فى قراءة النص مؤداها الدعاء لأساتذته والمسابقين عليه وأصحاب الفضل فى تعليمه كلما شرع فى قراءة نص أو إنتهى منه.

وفيما يتعلق بالجانب الذى يخص الأستاذ فإن الطهطاوى يرى لزامًا على الأستاذ أن يكون رفيقًا بتلميذه ،عطوفًا عليه ،وأن يدعو له بالتوفيق فى دراسته ،صبورًا على مناقد يبدأ منهم من سلوك شائن ،ويحض معلمى القرآن بحديثه حيث يستنكر عليهم ضرب تلاميذهم المفاز ويعد ذلك خروجًا على حد الشرع ، وينصح المعلمين بترغيب الأطفال على التعلم ومسايرتهم باللطف والرفق وأن يأذنوا لهم باللعب فى بعض الأوقات ويكون لعبًا جميلاً غير متعب لهم ليستريحوا من عناء الدرس ،وإذا كان هذا موقف المعلم من المتعلمين فإن رفاعة الطهطاوى يطلب من المتعلمين التأدب مع الله ومع المربين والتواضع والاعتقاد فيهم ويرى أن يطيع المتعلمون المعلمين ويسمعوا أقوالهم وينتصحوا بنصائحهم (٣٥).

(٥) فى طريقة التدريس :

يرى رفاعة الطهطاوى أن تدريس التلاميذ يجب أن يتم وفق خطوات معينة هى :-

(أ) أن يبدأ بالأهم ويرى أن يأخذ العلوم عن أساتذتها ويحذر من الاستعانة بالكتب إلا فى القرآن الكريم وعلم الحديث .

(ب) ألا يخرج الطالب من علم إلى غيره حتى يحكمه .

(ج) المطارحة والمناظرة فائدتهما أقوى من فائدة التكرار .

(د) يقسم المدرس أقسامًا حتى يسهل حفظه فهذا فى رأيه أوعى إلى الرسوخ فى الذهن من حفظه جملة .

ويذكر الطهطاوى أنه بعد الجولات التفتيشية التى قام بها وجد عدم ملاحية بعض الكتب التى بأيدى التلاميذ، فألف كتباً جديدة يراها بعض الباحثين أنها الخطوة الأولى فى سبيل النهضة للكتب المدرسية فى تاريخنا التعليمى وكان رفاعة يسترشد بما رأى وبما درس من كتب فرنسية أثناء تلقيه العلم فى فرنسا (٣٦).

(٦) فى تطوير الأزهر :

بدأ رفاعة الطهطاوى تطويره للأزهر بالمعهد الذى تخرج فيه فدعا إلى إدخال العلوم العصرية بالأزهر ، " قائلاً: أنه لو تشبث خيار أهل العلم الأزهريين بالعلوم العصرية لفازوا بدرجة الكمال وانتظموا فى سلك الأقدمين من فحول الرجال ،وكل من سار على الدرب وصل فيقول : ومدار سلوك جادة الرشد والعصابة منوط بعد ولى الأمر- بهذه العصابة ،يقصد (شيوخ الأزهر وطلابه)" (٣٧).

ويرى أن يضاف إلى دور الأزهر فى نشر السنة الشرعية ورفع أعلام الشريعة الحنيفة معرفة سائر العلوم البشرية "المدنية التى يعدها مدخلاً من مداخل التقدم ، حيث يؤكد على أن إضافة العلوم المدنية إلى العلوم الشرعية تكسب صاحبها مكانة وجلالاً فضلها نفع البشرية وإرضاء رب البرية ،كما ينفى المقولة التى ترى فى العلوم المدنية علوماً أجنبية ويؤكد على أن أصول إسلامية نقلها الغرب عن الشرق فى فترة من فترات النهضة الإسلامية من المكتبة العربية ولم تزل كتبها إلى الآن فى خزائن ملوك الإسلام كالذخيرة فإن من اطلع على سند شيخ الجامع الأزهر" الشيخ أحمد الدمنهورى "رأى أنه قد أحاط من دوائر هذه العلوم بكثير وأن له فيها المؤلفات الجمة وأن تلقيها على أيامه كان عند أهل الجامع الأزهر من الأمور المفهمة ،وكان رفاعة حريصاً على أن يقتبس من المدارس الأجنبية ونشاطها (٣٨).

(٧) فى تعليم المرأة :

يرى الطهطاوى أن المرأة من أجمل صنع الله القدير،وهى قرينة الرجل فى الخلقة ، والمعينة له فى تدبير أموره ،والحافظة لأطفاله ، والمباهرة على العناية بتدبير أمورهم ، والماسحة بيدها همومهم وآلامهم ،ولكنها تمتاز عنه بجسم أليف وألطف،وشكل لايؤهلها لأن تشاركه الأشغال الشاقة . وبنية جسمها على الرقة واللين توجب كونها ألطف من الرجل وأرق حاسية فإذا انحرفت عن ذلك كان انحرافاً ناشئاً من ظروف التربية والبيئة (٣٩).

وفى رأى أحمد بدوى أن رفاعة ربما كان أول من نادى بتحرير المرأة من رتبة الجهل فى العصر الحديث ويدعم رأيه مسترشداً بكتاب الطهطاوى " المرشد الأمين " حيث يدعو إلى أن تنال الفتاة حظها من العلم كما يناله الفتى لأمورشتى (٤٠).

أولاً : فللتعلم أثر قوى فى إسعاد بيت الزوجية وحسن معاشرة الأزواج ، فالتعليم يخلق التناسب والتجانس بين الزوجين، ويجعل المرأة أهلاً لمشاركة الرجل فى الكلام وتبادل الرأى ، ويبعدها عن سخف العقل والطيش الذى ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لإمرأة مثلها ، وأن حصول المرأة على العلوم والمعارف وثقافتها الممتازة أجمل من صفات الكمال وأرفع قدراً عنه عند الرجل من الجمال .

ثانياً : أن آداب الفتاة ومعارفها توثر كثيراً فى أخلاق الأولاد فابنتها المصيرة إذا رأت أمها مقبلة على مطالعة الكتب وضبط أمور البيت والاشتغال بتربية أولادها أحبت أن تقلد أمها فى ذلك على عكس ما إذا رأتها مقبلة على زينتها ، وإضاعة وقتها فى هذا الكلام والزيارات التى لافائدة منها فإن البنت تشب مضيعة لوقتها منصرفة عن النهوض ببيتها .

ثالثاً : أن العلم يهيىء للمرأة سبيل العمل فتتعاطى من الأعمال مايتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها ، إذا دفعها الحال إلى ذلك، وهذا من شأنه أن يشغلها عن البطالة ، فإن العمل يصون المرأة عما لايليق ويقربها من الفضيلة ، وإذا كانت البطالة مذمة فى حق الرجال فهى مذمة عظيمة فى النساء ، فإن المرأة التى لاعمل لها تقضى الزمن فى حديث جيرانها وفيما يأكلون وفيما يشربون ويلبسون ويفرشون وفيما عندهم وعندها ... وهكذا .

رابعاً : أن التجربة قضت فى كثير من البلاد أن تعليم البنت أكثر ضرورة بل أنه لاضرر فيه مطلقاً .

خامساً : أنه روى فى كتب الأحاديث روايات كثيرة عن النساء وقد كان فى زمن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من يعلم القراءة والكتابة من النساء وكان من أزواجه - من يقرأ ويكتب " كحفصة بنت عمر وعائشة بنت أبى بكر - رضى

الله عنهما" وغيرهن من نساء كل زمن من الأزمان ،ويذكر أن لجنة تنظيم التعليم سنة١٨٣٦م اقترحت دليلاً لتعليم البنات فى مصر وكان رفاعة أحد أعضاء هذه اللجنة ولكن الاقتراح لم ينفذ واكتفى بإنشاء مدرسة للمقابلات والمولدات ولم ييأس رفاعة عن رأيه فدافع عنه كاتباً ومتكلماً ومسئولاً، ومطالباً بأن تعليم البنات القراءة والكتابة والحساب ومايليق بهن من الصنائع كالخياطة والتطريز.

وفى سنة ١٨٧٣م أنشئت أول مدرسة لتعليم البنات فى مصر أنشأتها "جشم أخت هانم أفندى" (٤١).

وفى مشاركة البنات للصبيان فى التعليم يقول رفاعة :" أنه ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معًا لحسن معاشرة الأزواج ، تتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك فإن هذا يزيدهن أدبًا وعقلا ،ويمدهن بالمعارف ويصلحون به مشاركة الرجال فى الكلام والرأى فيعظمن فى قلوبهم ويعظم مقامهن،وأن تتعاطى إلنساء من الأشغال والأعمال مما يتعاطاه الرجل على قدر قوتها وطاقتها، فلكل مايطيقه من النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن" (٤٢).

(٨)دور المنزل فى التربية :

يشير رفاعة الطهطاوى ـ من خلال مشاهداته فى البلدان الأوربية ـ إلى أهمية دور المنزل فى تربية الأبناء، وأن التعليم اللغوى الأول فى حياة الطفل يكتسبه الطفل من المحيطين به فى المنزل ، كما أن الأطفال الذين لايتشربون حب التعليم من والديهم فى الصغر لايكن لديهم الميل لتعليم أبنائهم فى الكبر.

أى أنه رغم اهتمامه بالثقافة الأوربية إلاّ أنه لايفضل التربية الأجنبية ـ السائدة فى عصره آنذاك ـ والتى تعتمد على وضيفة تقوم بتربية الأبناء وتخلى الأم عن هذا الدور (٤٣).

(٩) التعليم وأقسامه عند رفاعة :

التعليم هو الوسيلة العظمى التى يكتسب بها الإنسان معرفة مايجهله كلية أو مابقى له من تكميل علمه ببعض أشياء جزئية ،فالتعليم جزء من التربية المعنوية

التي هي تهذيب العقل وترويض الذهن (٤٤).

وهذه التربية تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : تربية النوع البشري ويعني تربية الإنسان من حيث هو إنسان أي تنمية مواده الجسمية وقواه العقلية.

القسم الثاني : تربية أفراد الإنسان تربية الأمم والملوك.

القسم الثالث : التربية العمومية لكل إنسان في خاصة نفسه وهي تربية الإنسان الخصوصية فالقسم الأول طبيعي ويكون غالباً في أيام الصبا وزمن الشبيبة التي بفواتها يفوت المرام وتضيع الأيام فينبغي ألا تخلو أيام الصبي والصبية من إفادة واستفادة للتحصيل للذكر والأنثى وفي مقر السن أسباب السعادة والسيادة ولايزال لكل منهما بتوفيقه تعالى محلاً للزيادة حتى لايتأسف أحد منهم عند الكبر على ماضي من الأعوام بدون الحصول على المراد من أحوال المعاش.

(١٠) مراحل التعليم وأهدافها (٤٥):

(أ) المرحلة الأولية أو الابتدائية :

وهي مرحلة عامة يشترك فيها أولاد الفقراء والأغنياء والبنون والبنات ويدرسون فيها القرآن وأصول الدين والقراءة والكتابة والحساب ومبادئ الهندسة والنحو ...

(ب) المرحلة الثانوية :

ويدرس فيها التلاميذ العلوم والرياضة بأنواعها والجغرافيا والتاريخ والمنطق والطبيعة والكيمياء والإدارة المكتبية والفنون والزراعة والإنشاء، وبعض اللغات الأجنبية، ويرى أن ترغب الحكومة الأهالي في هذا التعليم الذي يكون تمدين جمهور الأمة ويسهم في تعلم المهن على اختلاف أنواعها بعد الانتهاء من التعليم الثانوي.

(ج) المرحلة العالية :

وفي التعليم يتخصص الدارسون ويتبحرون في علم مخصوص كعلم الفقه أو الجغرافيا أو الفلك أو التاريخ، ويرى أن يكون عدد تلاميذ التعليم العالي محصوراً لايباح

الاستيعاب إليه إلاّ لصاحب الثروة واليسار بحيث لايفر تفرغه للعلوم العالية بالمَلَكَة فبينما يؤكد رفاعة على انتشار التعليم الأولى نجده يحدد الطريق للتعليم العالى وقد يكون هذا سليماً ولكن الذى نأخذه عليه أن معيار هذا التحديد كان المركز الاقتصادى والقدرة العقلية والاستعداد عند المتعلمين .

من هذا المنطلق يلاحظ أن الطهطاوى يؤكد على أن التعليمات الأولية والمعارف العمومية يجب أن تعم جميع أولاد الأهالى فقيرهم وغنيهم وكذلك الأمر بالنسبة للتعليم الثانوى الذى يجب أن يكون كثيراً ومنتشراً بين أبناء الأهالى القابلين له والراغبين فيه فيباح لهم التعليم ليكونوا من الدرجة الوسطى بخلاف درجة العلوم العالية المعدة لأرباب السيادات والرئاسات وأهل النُّخْل ،والتضييق فى نظامها بحيث يكون عدد تلاميذها محصوراً على أناس قلائل ومقصوراً ،بمعنى أن كل من طلب الاشتغال بالعلوم العالية بحيث لايفر تفرغه بالعلوم العالية بالمَلَكَة ،فمن الخطر على من له صناعة يتعيش منها وينتفع به الناس أن يترك هذه الصناعة ليدخل فى دائرة مجال المعارف التى تصرفه عن أن تكون صناعة فلا ينبغى أن يرخص للتلاميذ المتعلمين العلوم الأولية والثانوية أو انتظموا فى سلك أرباب المعارف القصوى إذا كانت فى حقهم قليلة الجدوى (٤٦).

ثالثاً: محاور التنوير عند رفاعة الطهطاوى :

اعتمد رفاعة اعتماداً كبيراً على التربية بكل محاورها ،وفى كل مجالاتها بحيث تكون طريقاً للتنوير، ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن فكر رفاعة التربوى أسهم إسهاماً واضحاً فى تغيير ملامح النهضة الحديثة فى مصر باعتبار أن الاستثمار البشرى بكافة أنواعه هو من أهم الاستثمارات فى كافة المجالات وأوضح معالم ذلك مايلى :

أ ـ الاهتمام بتعليم البنات :

لقد بدأت فكرة التعليم العام للبنات تتخذ فى مصر شكلاً متميزاً يغاير ماكان معمولاً به قبل ذلك،حيث كان تعليم البنات يقتصر على بعض المدارس الأجنبية فى مصر، وكان غالبيتهن قبطيات والقليل منهن مسلمات ،" ولكن فكر رفاعة الطهطاوى مهد إلى تعليم تعليم البنات وذكر ذلك فى كتابه (المرشد الأمين للبنات والبنين)، حيث قال فيه: إن ولى الأمر يمكنه أن يعلم بنته مايليق بها من القراءة وأمور الدين وكل مايتعلق بالنساء من خياطة وتطريز ،وإن اقتضى حال البلاد تعليم البنات الكتابة

والحساب وبعض مبادئ المعارف النافعة في إدارة المنازل فلا بأس بتعليم الحساب وما أشبهه لهن . ويشترك الصبيان والبنات في تعلم الأخلاق والآداب وحسن السلوك(٤٧).

وبذلك استطاع رفاعة أن يغرس بذور التنوير في عقول أولياء الأمور بتعميم تعليم البنات واعتبار ذلك من الضروريات التي لاغنى عنها لكل بنت حيث تسهم بنصيب وافر في نهضة المجتمع بدءًا من نهضة الأسرة التي هي النواة الأولى لكل المجتمعات .

كما استطاع رفاعة أن يغير فكرة تعليم البنات التقليدية في المجتمع المصري والتي كانت قاصرة على تعليم أمور الدين فقط من خلال توضيح أمثلة من التاريخ الحضاري الإسلامي والأوربي التي يمكن أن يسترشد بها كلولي أمر لتعليم بنته التعليم العصري ، مضافًا إلى ماسبق من تعليم حتى يستطعن هؤلاء البنات أن يتفاعلن تفاعلاً موجباً مع متغيرات عصرهن، ويشاركن مشاركة إيجابية في نهضة المجتمع وأداء واجبهن في وظائف عصرية تتناسب مع طبيعة البنت .

وكان اهتمام رفاعة بتعليم البنت نابعًا من أمور مستقبلية يجب أن تنالها منذ فطرها لكي يتحقق للفتاة مايلي (٤٨):

١- إسعاد بيت الزوجية ،حيث أكد رفاعة أن التعليم يخلق نوعًا من التجانس والانسجام الفكري بين الرجل والمرأة من خلال تأهيل المرأة تأهيلاً عقلياً يجعلها قادرة على مشاركة الرجل في فكره ورأيه ، ويبعدها عن دائرة الاستخفاف بعقلها ورمي أفكارها الى تيه الصحراء باعتباره رأيًا مخطئًا لايقدم ولايؤخر ، وأكد أن البنت يضعها في إطار ثقافي متميز ويرفع صفاتها إلى صفة قيمة العلم وجماله.

٢- حسن تربية أولادها ،حيث يسهم تعليمها في زيادة معارفها وبسط أخلاقها وارتفاع قدرها مما يؤثر على مقارها ويجعلها قدوة ومدرسة لهم في حاضرهم ومستقبلهم.

٣- إعدادها لعمل يناسبها،حيث يعتبر تعليم المرأة إطاراً مرجعياً لما يجب أن تكون عليه حينما تتقلد عمل يناسب طبيعتها ، وبذلك تجمع فضيلة العلم والعمل وتبتعد عن رزيلة الجهل والبطالة ، كما يقربها من مصاف الرجال في تأدية الأعمال ، ومن هنا يمكنها أن تسهم في نهضة أسرتها ووطنها.

وبذلك أثبت الطهطاوي بخبرة دول أوربا وأمريكا وبالأدلة العقلية على أهمية

وضرورة تعليم البنات فى الحاضر والمستقبل متمسكًا بجذوره التقليدية ،ولم ينس أن يوضح مشروعية تعليم البنات من الناحية الدينية حتى يتفق مع ماقى عقول عامة الشعب المصرى من قيم وتقاليد دينية .

وكانت ثمار هذا الفكر مدرسة البنات بالسيوفية (المدرسة السنية) وهى أول مدرسة عامة حديثة أنشئت عام ١٨٧٣م بالقاهرة ومايتبعها بعد ذلك من إنشاء العديد من المدارس التى يتم فيها تعليم البنات فى مصر .

وهكذا يمكن القول أن ثمار التنوير التى بذرها رفاعة فى مصر معتمدًا على التربية والتعليم أثمرت فيما بعد ثمارًا يانعة كانت أوضح صورها عند قيام ثورة ١٩١٩م والتى احتلت فيها المرأة المتعلمة دورًا بارزًا سجله التاريخ بحروف من نور التنوير الذى أشعل مصابيحه رفاعة الطهطاوى .

ب ـ التركيز على التربية السياسية :

لم ينس رفاعة وهو يبذر بذور التنوير فى وطنه أن مصر تاج فى مفرق الشرق لابد أن يتحلى شعبه بالوعى السياسى المستنير حتى يستطيع أن يميز بين الغث والسمين من أمور السياسة والساسة ،ومن خلال ذلك يمكنه أن يتجنب ويلات بطش العدو وخيانة الصديق .

ومن هنا اعتبر رفاعة الطهطاوى التربية السياسية ضرورة أساسية لكل المواطنين بل رفع قدرها بحيث لاتقل أهميتها عن تعليم التربية الدينية ، وهو يعلم تمامًا أن التربية الدينية تربية الإنسان مع خالقه ، والتربية السياسية تربية الإنسان مع صديقه وعدوه ، لذا طالب بألا تكون التربية مقصورة على فئة أو طبقة معينة ،بل يجب أن تصبح ضرورة لكل المواطنين حتى يستطيع هؤلاء أن يكونوا حراسًا على وطنهم بوعى وفكر منطلقين من معرفة كل فرد لواجباته وكيف يؤديها على الوجه الأكمل،ومعرفة حقوقه وكيف يطلبها ولايتركها منحة أو منة فى يد الحاكم يعطيها متى يشاء ولمن يشاء ،وبذلك تصبح الدولة وطنًا لكل المواطنين ويصبح الوطن دولة لكل الحاكمين(٤٩).

ونظر رفاعة الطهطاوى إلى أن التربية السياسية أحد أجنحة عمليات التربية الاجتماعية ،بحيث أن كل واعٍ مستنير لحقوقه وواجباته يستطيع أن يسهم إسهامًا فعالًا

فى رفع مستوى الحياة الاجتماعية وتحسين طريقة حياة الأمة من خلال معرفة نظمها وقوانينها ومشكلاتها وكيف يتفهم فى حل هذه المشكلات على المستوى الفردى والمستوى المجتمعى ،وكان هذا هو الفكر المستنير الذى استطاع رفاعة أن يغرسه فى نفوس أبناء المجتمع المصرى ،من خلال دعوتهم إلى التربية السياسية باعتبارها شرارة وطنية توقظ عين الأمة حينما يغفل ضمير حكامها(٥٠).

وبذلك تهدف التربية السياسية - عند رفاعة - إلى تكوين الوعى بالمواطنة وما تفرضه على المواطنين من سلوك اجتماعى هادف إلى الصالح العام ، حيث أن فكرة الصالح العام لايمكن أن تكتمل إلا من خلال إطار التربية السياسية ،حيث إن التثقيف السياسى يُعد ذا تأثير معنوى فى تهذيب الأخلاق وتفهم الأهالى أن مصالحهم الخصوصية والشخصية لاتتم ولاتتمركز إلا بتحقيق المصلحة العمومية التى هى مصلحة الحكومة الوطنية ، وهذا لايتأتى إلا حين تذعن نفوس المواطنين بأن الفوائد الخصوصية ليست فى حد ذاتها مضمونة الحصول إلا فى ضمن الفوائد العمومية للوطن ، وبهذا أوضح رفاعة أن صالح الدولة ليس مجرد مجموع مصالح الأفراد ولكن مجموع مصلحة الوطن عمومًا بجانب مصلحة الفرد(٥١).

كما أمكن لرفاعة أن يستهدف بالتربية السياسية فى الدولة الحديثة تأصيل مفهومى (الأخوة الوطنية ،ومحبة الوطن) ،باعتبار أن هذا الوطن ملك للجميع ومطلوب من الجميع الدفاع عنه بمعيار الانتماء القومى والوطنى ونبذ خلافات التفرقة الدينية التى تخلخل الأخوة الإنسانية وتفقد المجتمع روح شعبه وتحطم الانتماء لأرضه.

جـ - الاهتمام بالعلوم الحديثة:

نظرًا لأن رفاعة الطهطاوى كان من أوائل الطلاب الذين بعثهم محمد على إلى فرنسا سنة ١٨٢٦م ،فقد كان لبعثته أثرًا كبيرًا فى نفسه ، حيث غيرت لديه العديد من مفاهيم الفكر الإنسانى وعرف أن ماتقوم المدارس بتدريسه فى مصرلايمثل سوى القليل النادر من كم المعرفة التى انفجرت فى أوربا آنذاك ،وقد انغمس الطهطاوى بفكره الثاقب فى الجانب العلمى من الحياة الفرنسية وأثرها على نهضة هذه البلاد،كما عرف أن للعلم مؤسسات كثيرة وفروع متعددة وقد استهواه جهود العلماء الفرنسيين فى الدراسات العربية والمصرية وكان هؤلاء العلماء موضع تقديره واحترامه وعرف منهم كيف تمتاز العقول ليصبح نور العلم مفتاح تقدم الأمة.

وحينما عاد رفاعة الطهطاوى إلى مصر أعلن بكل قوة ضرورة أن تتحول مناهج التعليم فى مصر إلى أبواب المعرفة الجديدة وكان قمة ذلك فى اقتراحه على محمد على بتأسيس مدرسة الألسن سنة ١٨٣٦م لتدريس اللغات الأوربية والترجمة حتى تكون هذه المدرسة بداية الاتصال الحقيقى بالحضارة الأوربية حتى يستطيع خريجو هذه المدرسة من الإسهام فى نقل كثير من معارف الغرب إلى مصر(٥٢).

كما دعا الطهطاوى إلى عدم الاقتصار على دراسة العلوم اللغوية والدينية كما كان الأمر فى الأزهر وسائر المعاهد الدينية وأوجب إلزاماً تعلم العلوم الحديثة لما لها من الأثر الذى لاينكر فى بناء المجتمع الحديث وتغيير ملامح الحياة المادية والاجتماعية والاقتصادية بما يحقق التوازن مع متغيرات العصر الذى يجب أن يعيشه الإنسان المصرى باعتباره وليد أصحاب حضارات أثرت على العالم منذ القدم بالعلم والمعرفة، ويجب عليه ألاّ يترك منافذ العلم التى فتحت فى دول أوربا دون أن يأخذ منها ويسهم بما آخذه فى تطوير مجتمعه حتى يمكنه حل مشكلاته وتسخير بيئته لرفاهيته.

وأن التقدم العلمى الذى حدث فى أوربا ساهم بصور شتى فى تغيير تفكير الإنسان وكيفية الاستفادة من أخيه الإنسان وإدراكه خطورة الانغلاق على عقلية واحدة وهو ماكان سائداً فى مصر قبل عصر محمد على ونتج عنه تفكير جامد وسلوك عقيم وحركة رتيبة وتقدم غير ملموس أثر بدوره فى مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى مصر فى ذلك الوقت (٥٣) ،لقد كان لابد أن يؤكد رفاعة على ضرورة الاهتمام بالعلوم الحديثة باعتبارها منطلقاً إلى التجديد فى كل مجالات الحياة.

واستطاع رفاعة أن يغير مفهوم العلم وأهميته الحضارية متأثراً بماعاشه وتعلمه فى فرنسا وأكد أن البحث العلمى لايقتصر مطلقاً على دراسة المتون والشروح فى المعقول والمنقول ، بل يجب أن يتعدى كل ذلك ويتناول كل القضايا الخاصة بالكون والإنسان قديماً وحديثاً وأن يستفيد من ذلك كله فى رفعة الإنسان وزيادة رفاهيته ليصبح سلوكه سلوكاً متسماً بالإنسانية فى التفكير والتدبير والنظرة والعقل مدركاً خطورة الآثار المادية التى تنجم عن تطبيقات العلم ومتحاشياً إياها.

وفى هذا نستطيع أن نقول أن الفكر العلمى عند الطهطاوى كان فكراً يعتمد على التربية فى تحقيق مايستهدفه من تنوير للمجتمع المصرى لتصبح حركة هذا المجتمع

وإيقاعها مرتبطة بحركة العالم وتقدمه، ولو استطعنا أن نملك ما أراده هذا الرجل لما كان ذلك المجتمع يصنف الآن ضمن مجتمعات الدول النامية.

وإذا كان هذا هو تفكير رفاعة في القرن التاسع عشر، فإنه بالأحرى ونحن نستقبل القرن الحادي والعشرين أن نعيد قراءة التاريخ مرة أخرى ونحاول أن ننقى مناهج التربية والتعليم من الغث لكي نستبد له بالسمين حتى تستطيع أجيال اليوم أن تعيش القرن القادم مع نظائرها من أبناء الدول المتقدمة بالعلم والمعرفة.

د - تكافؤ الفرص التعليمية بين أبناء الشعب:

أكد رفاعة الطهطاوي على حق كل أبناء الشعب في التعليم الأولي ولم يستثن منهم أحداً حتى أرباب الحرف والصناعات المتدنية مؤكداً قيمة التعليم لهم وأهميته في تكوينهم بصورة أفضل في المستقبل بغض النظر عن وضعهم الاجتماعي أو الوظيفي، كما أكد رفاعة على أن من واجب الدولة أن تهيئ تعليماً ابتدائياً لكل أفراد الأمة من الذكور والإناث حتى يستطيع هؤلاء أن ينالوا حظاً متساوياً من التعليم يهيئ لهم ظهور استعداداتهم وملكاتهم في مراحل التعليم التالية.

ولم ينس رفاعة أن تترك الحرية في التعليم الثانوي والعالي لعامة أبناء الشعب بشرط أن يتم الاختيار وفق الاستعدادات والقدرات الفردية فقط بغض النظر عن المستوى الاجتماعي، وأن من واجب الدولة أن تشجع الأبناء المتفوقين على الالتحاق بالتعليم الثانوي بعيداً عن حكره على أبناء الطبقة العالية أو من هم قريبون منهم، وقد سبق رفاعة فكر "جان جاك روسو" حينما قصر التعليم الثانوي على الطبقية وجنب منه فقراء الشعب، والفرق بين روسو والطهطاوي فرق في إنسانية الإنسان، فالطهطاوي يرى على عكس روسو - ضرورة التعليم الأولي لكل المواطنين والثانوي لكل من عنده استعداد لذلك بغض النظر عن انتمائه الطبقي منادياً بذلك على ضرورة تكافؤ الفرص التعليمية بين أبناء الشعب (٥٤).

ولقد أثر فكر رفاعة الطهطاوي في ضرورة شمولية أبناء المجتمع بالتربية والتعليم على نظرته في تعريفات التربية ذاتها، مما جعل موضوع التربية عند رفاعة منصباً على الطفل ذاته وليس الطبقة حتى يستطيع الإنسان أن يتغير بالتربية من الخسن إلى الأحسن، ومن الصالح إلى الأصلح، وأدرك رفاعة - رغم تميزه بعض الشيء إلى طبقية

التعليم العالى ـ على أن التربية قادرة على إحداث حراك اجتماعى ،ويمكن أن تسهم بدرجة كبيرة فى تذويب الفروق بين الطبقات حتى لاتصبح الفجوة كبيرة بين أبناء الشعب مما ينتج عنه الحقد والكراهية الذين هما نتاج عدم تكافؤ الفرص التعليمية بين أبناء المجتمع الواحد وهو مأدركه رفاعة الطهطاوى فى ضرورة إيجاد هذا التكافؤ.

ومما يدل على فكر رفاعة الثاقب أن ثورة ١٩٥٢م نادت بضرورة تكافؤ الفرص التعليمية بين أبناء الشعب المصرى سواء أمام الفرص التعليمية وليس أدل من ذلك من إلغاء الازدواجية فى التعليم ومجانيته التى ظهرت آثارها الآن على كثير من الطبقات الاجتماعية الدنيا والمتوسطة فى تعليم أبنائهم بل وقفزت بهم فى حراك اجتماعى رأسى إلى طبقات متميزة اجتماعيًا.

وبعد أن انتشرت المدارس بكل أنواعها ومختلف مجالاتها فى كل ربوع مصر يجب أن يعاد النظر فى مبادىء تكافؤ الفرص ،خاصة فى مجال التعليم العالى مستنيرين بفكر رفاعة ، حتى يمكن أن تقنن الفرص المتاحة لكل أبناء الشعب حتى يحظى كل منهم بالفرصة المناسبة لاستعداداته وقدراته مما يجعله قادرًا على الإستمرار فى التعليم متخطيًا كل صعوباته ليصبح مركزًا للإبداع والتنوير لمجتمعه فى للمستقبل .

رابعًا : رفاعة الطهطاوى واستخدامه للتربية سلاحًا للتنوير :

مما سبق يمكن أن نستخلص ان رفاعة استطاع أن يستخدم أثقف الطرق ليحقق من خلالها بناء أبناء مصر باعتبارهم هم المستقبل ،لذا جاءت اهتمامات رفاعة متعددة ومتنوعة لتوحى بمدى اهتمامه بأبناء وطنه منطلقًا من أن التربية هى أمضى الأسلحة حيثما تتعدد مجالاتها وتتنوع معارفها ومصادرها ،ولذا حارب رفاعة التربية التقليدية التى كانت تستهدف إنسانًا يعيش يومه فقط ولايعرف غالبًا إلا نفسه فأضاف رفاعة عليها فى مناداته باستخدام التربية الحديثة.

لذا كانت اهتمامات رفاعة بالتربية الحديثة كسلاح لتنوير أبناء الشعب بعد أن أدرك أهمية ذلك ، وجاء فكره متمشيًا مع هذه الاهتمامات ،حيث أكد على أهمية الأخذ بالعلوم الحديثة التى تساعد أبناء الأمة على التعرف على التقدم فى المجالات المختلفة وأن يأخذوا هذه العلوم بطريقة كلية غير مجزأة يستفيد منها كل طبقات

الشعب وكذلك جميع أبناء الشعب على اختلاف أنواعهم ، ومزودين بالوعى السياسى الذى يجعل منهم مواطنين صالحين يستفيدون من تلك العلوم فى خدمة مجتمعاتهم فى الماضى والحاضر والمستقبل غير معرضين وحدتهم الوطنية للتفكك من الانهيار مؤدين واجباتهم مطالبين بحقوقهم بأسلوب شرعى يتفق مع الأصول الإنسانية وجوهر قيم الوطن بفضل ماتزودوا به من أصول تربوية حديثة تنمى قيمهم القيم الاجتماعية العليا التى تنبذ الأنانية وتحقق الجماعية.

وعلى الرغم من أن المحاور السابقة تعد جزءاً قليلاً مما استخدمه رفاعة فى دعم مسيرة التنوير فى وطنه ، إلا أننا نستطيع أن نجعل هذه المحاور إطاراً مرجعياً لتصحيح مسار التربية والتعليم فى مصر بدءا من الأهداف العامة للتربية وانتهاء بحركة المعلم والتلميذ فى الفصل حتى يمكن أن تستفيد من التربية التى إستهدفها رفاعة طريقاً للتنوير فى مصر فى المستقبل .

وهذا يتطلب من القائمين على أمور التربية والتعليم فى كل مجالاتها أن يدققوا النظر فيما يجب أن يناله المتعلم فى حياته التعليمية حتى يصبح هدف التربية إعداد مواطنين صالحين لأنفسهم ومجتمعهم ولزمانهم ومستقبلهم ،متخطين حدود إقليمهم منطلقين إلى آفاق العالم الكبير ، مدركين أن هذا العالم الكبير فى جغرافيته لم يعد أمام العلم الا قرية صغيرة يجب أن تتصل بها ويستفيد منها ويتفاعل معها باعتباره جزءاً منها.

ومن هنا نؤكد أن رفاعة الطهطاوى كان أمة لمصر الحديثة حينما امتلئ هذا الدرب الطويل الشاق ليصل بأمته إلى ماشاهده ، وتفاعل معه من حضارة أوربا الغربية ، أملاً أن يستفيد أبناء وطنه من هذه الحضارة ويربطوا أمجادهم الحضارية الماضية بمستقبل أكثر وأنضر مما عاشته حضارة مصر القديمة لاستكمال المسيرة وتحقيق الاتصال بين الماضى والحاضر والمستقبل .

قائمة المصادر :

١ ـ جمال الدين الشيال ، رفاعة رافع الطهطاوى ، نوابغ الفكر العربى ، القاهرة ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٨٠ ، ص ص ٦ ـ ٨ .

٢ ـ المرجع السابق ، ص ١٢ .

٣ ـ أنور لوقا غبريال ، ربع قرن مع رفاعة الطهطاوى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٥ ، ص ص ٣٦ ـ ٣٩ .

٤ ـ عبد المتعال التعيدى ، المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر ، القاهرة ، مكتبة الآداب بالجماميز ، د.ت ، ص ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩ .

٥ ـ المرجع السابق ، ص ٤٤٩ .

٦ ـ جمال الدين الشيال ، مرجع سابق ، ص ص ١٧ ـ ١٩ .

٧ ـ إبراهيم عزوز ، رفاعة الطهطاوى ، للصف السادس من التعليم الأساسى ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٨٧ ، ص ٢٤ .

٨ ـ أحمد أحمد بدوى ، رفاعة الطهطاوى بك ، القاهرة ، نخبة البيان العربى ، ١٩٥٠ ، ص ١٢ .

٩ ـ محمد منير مرسى ، تاريخ التربية فى الشرق والغرب ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٤ ، ص ٤٧٢ .

١٠ ـ أحمد أحمد بدوى ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

١١ ـ محمد منير مرسى ، مرجع سابق ، ص ٤٧٢ .

١٢ ـ أحمد أحمد بدوى ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

١٣ ـ حسن الفقى ، التاريخ الثقافى فى التعليم فى مصر ، القاهرة ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٨٤ ، ص ٥ .

١٤ ـ سعد مرسى ، مختارات من تطور الفكر التربوى ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٣ ، ص ١٤٥ .

١٥ ـ أحمد أحمد بدوى ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

١٦- البدراوي زهـــــــران ،رفاعة الطهطاوي ووقفة مع الدراسات اللغوية مـــع النص الكامل للتحفة المكتبية ، القاهرة ،دار المعارفه ١٩٨٣،ص ٥٠

١٧- أحمد أحمد بـــــــدوى ،مرجع سابق،ص ٧٧٠

١٨- سعد مرســـــــــى ،مرجع سابق ،ص ٢٤٥٠

١٩- البدراوي زهـــــــران ،مرجع سابق ،ص ٦٠

٢٠- حسن الفقـــــــــى ،مرجع سابق ،ص ٥١٠

٢١- أنور لوقا غبريـــــال ،مرجع سابق ،ص ٤٠٠

٢٢- المرجع الســـابـــــق ،ص ٢٧٠

٢٣- نفس المرجـــــــع ،ص ٤١٠

٢٤- إبراهيم عـــــــزوز ،مرجع سابق ،ص ص ٩٣-٩٤٠

٢٥- حسن الفقـــــــــى ،مرجع سابق ،ص ص ٥١-٥٢٠

٢٦- نفس المرجع ،ص ٥٢٠

٢٧- محمد منير مرســـــــى،مرجع سابق ،ص ٤٧٣٠

٢٨- حسن الفقـــــــــى،مرجع سابق ،ص ٥٥٠

٢٩- أحمد أحمد بـــــــدوى،مرجع سابق ،ص ص ٣٢٠-٣٢٢٠

٣٠- محمود فهمي حجـــــازى، أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوى، القاهـــرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٧٤،ص ص ٩٣-٩٤٠

٣١- المرجع الســـابـــــق ،ص ص ٩٥-٩٦٠

٣٢- المرجع الســـابـــــق ،ص ١٠٥٠

٣٣- سعد مرسى أحمـــــــد ،تطور الفكر التربوى ، القاهرة ،عالم الكتـــب ،١٩٧٥، ص ص ٤١٣- ٤٢٤٠

٣٤- سعد مرسى ،سعيد إسماعيل علي ،تاريخ التربية والتعليم ، القاهرة ،عالم الكتـــبه ١٩٧٤،ص ص ٢٩٥-٢٩٧٠

٣٥- سعد مرسى ،وسعيد إسماعيل على ،مرجع سابق ،ص ٤٢٥.

٣٦- المرجع السابق ،ص ٤٢٦.

٣٧- المرجع السابق ،ص ٤٢٧.

٣٨- محمود السيد سلطان،مسيرة الفكر التربوى عبر التاريخ، القاهرة ،دار المعارف ،١٩٧٩،ص ص ٢٠٥-٢٠٦.

٣٩- نفس المرجع والصفحة.

٤٠- أحمد أحمد بدوى،مرجع سابق ،ص ص ٣٢٠-٣٢٢.

٤١- محمد عمارة ، الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى ،بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر،-ط١، ١٩٧٣م، ص ٣٩٣.

٤٢- المرجع السابق ،ص ٣٩٣.

٤٣- المرجع السابق ،ص ٣٩٥.

٤٤- حسين فوزى النجار،رفاعة الطهطاوى ، القاهرة ،مكتبة مصر،د.ت،ص ص ١٧٦-١٧٧.

٤٥- سعد مرسى،مختارات من تطور الفكر التربوى ،مرجع سابق ،ص ٢٥٢.

٤٦- محمد عمارة ،مرجع سابق ،٣٨٩.

٤٧- محمود فهمى حجازى،مرجع سابق ،ص ١٠٢.

٤٨- سعد مرسى أحمد ،تطور الفكر التربوى ،مرجع سابق ،ص ص ٤٢٨-٤٢٩.

٤٩- أحمد عزت عبد الكريم ،تاريخ التعليم فى مصر ،ج١، القاهرة ،مطبعة النصر، د.ت ،ص ٥٦٧.

٥٠- أبو الفتوح رضوان ،رفاعة رافع الطهطاوى أول راشد للتربية والتعليم فى مصر الحديثة،مجلة الراشد ،يناير ١٩٥٩،ص ٢٠.

٥١- محمود فهمى حجازى ،مرجع سابق ،ص ١٨٠.

٥٢- عبد العزيز نوار وآخرون،تاريخ مصر والعرب الحديث ، القاهرة ،مطابع روزا اليوسف الجديدة ،١٩٩٢،ص ٥٤.

٥٣- يوسف صلاح الدين قطـــــــب ،"التربية العلمية فى عصر العلم" ، القاهرة ،مجلة العلوم الحديثة ، العدد الأول ، السنة ٣٧،سبتمبـــــــر ١٩٩٣،ص ٥٠

٥٤- محمود فهمى حجـــــــــــازى،مرجع سابق ،ص ١٠٠.

هذا وأسأل الله لى ولكم التوفيق ،،،

==========